

مجالس الذكر رياض الجنة الذاكر في الغافلين، كالمجاهد في الفارين

إعداد: عبد الله النابلسي

«شيعتنا الذين إذا خلوا ذكروا الله كثيراً». الإمام الصادق (ع)
مقتطفات من كتابي (عدة الداعي) للشيخ ابن فهد الحلبي و (محاسبة النفس) للشيخ الكفعمي رضوان الله عليهما
تبين أهمية ذكر الله تعالى، والحث عليه، لا سيما في الغافلين وفي الأسحار، وأنه شيمة المؤمن ودعامة إيمانه.

يرفع البلاء ويدفع السوء

قال الشيخ الكفعمي في (محاسبة النفس):
يا نفس: وعليك بالذكر، والحمد والشكر، فإنه يرفع البلاء
الحاصل، ويدفع السوء النازل، وفي الحديث:
«ما اجتمع قوم في مجلس لم يذكروا الله فيه، إلا كان عليهم حسرة
وندامة، ووبالاً يوم القيامة»، وأنه من شغله ذكر الله عن مسألته
[طلب حاجته]، أعطاه الله أفضل ما يعطي السائلين، ولا يصيبه سوء
في جميع أحواله، وأنه -الذكر- ينير البصائر، ويؤنس الضمائر،
وهو شيمة كل مؤمن، ولذة كل موقن، ودعامة الإيمان، وعصمة
من الشيطان.

التعطر بالإستغفار

يا نفس: وعليك بالإستغفار خصوصاً في الأسحار، فقد روي: أنه
«من أكثر الإستغفار رفعت صحيفته وهي تتلألأ بالأنوار، وجعل
الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً»، فعودي نفسك
الإستغفار، ثمحى عنك الحوبة، وتعظم لك المثوبة، فمن تعطر
بأرياح استغفاره، لم ينفذ من نتن إصراره على أوزاره، ومن
قبل فم الشهوات عضته أسنان الندامة، ومن تلفع بأردية التقوى
اعتنقته أكناف السلامة، فانتهي زمانك قبل الزمن، ولا تغترى
بالدنيا فإنها خضراء الدمن، واقعدى مقعد صدق وانظري عند
من، إن الدنيا تعطي تفارق وتسترجع جملاً، وترضي أفويق
وتعظم عجباً.

الغيبة تنقض الذكر

يا نفس: لا تكوني كالذي يسبح الله ويهلله مائة مرة في أول تذكاره،
ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم بسائر نهاره، فهو أبدأ يتأمل
في فضائل تسيحاته وتهليلاته، ولا يلتفت إلى ما ورد من عقوبة
نميماته وغيباته، ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه
أجر التسييح، وما يكتبونه من هذيانه القبيح، لزد أجر هذيانه
على ثوابه، ونقصت مدة حسناته عن مدة عقابه.

قال الشيخ ابن فهد الحلبي في (عدة الداعي):

الذكر محثوث عليه ومرغوب فيه، ويدل عليه العقل والنقل:
أما الأول: فيما دل عليه من وجوب شكر المنعم، والشكر قسم
من أقسام الذكر، ولأنه دافع للضرر المظنون، وكل ضرر ظن
حصوله وجب دفعه مع القدرة عليه.

وأما النقل: فمن الكتاب والسنة. أما الكتاب فأيات منها قوله
تعالى لنبئه: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً..﴾
الأعراف: ٢٠٥، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ
ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ الأحزاب: ٤١-٤٢.

وأما السنة فنقتصر على روايات: «روي أن رسول الله ﷺ خرج
على أصحابه، فقال: إرتعوا في رياض الجنة، قالوا: يا رسول الله،
وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر».

وعنه ﷺ: «أربع لا يصيهن إلا مؤمن: الصمت وهو أول
العبادة، والتواضع لله سبحانه وتعالى، وذكر الله على كل حال،
وقلة الشيء [يعني قلة المال]».

ولا ينبغي أن يخلو للإنسان مجلس عن ذكر الله، ويقوم منه بغير
ذكر. ويتأكد استحباب الذكر إذا كان في الغافلين تحصيئاً من
قارعة تنزل بهم، فينجو بذكره ولعلهم ينجون به.

قال رسول الله ﷺ: «ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارين،
والمقاتل في الفارين له الجنة».

ويستحب الإسرار بالذكر لأنه أقرب إلى الإخلاص وأبعد من
الرياء. قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، أذكر الله ذكراً
خاملاً، قلت: ما الخامل؟ قال: الخفي».

وقال أمير المؤمنين (ع): «من ذكر الله في السر فقد ذكر الله كثيراً، إن
المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السر، فقال الله
﴿..يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء: ١٤٢».